الكوت .. المعيشة في الكويت قديماً

الغالبية من الكويتيين قديما كانوا من الطبقة الفقيرة وقلة منهم هم الأغنياء، كانت معيشتهم تتسم بالبساطة وليست كما يتصورها البعض، فالكثير منهم يعيش على قوت يومه، ويشقى الغني منهم والفقير في سبيل كسب لقمة العيش، في حين لا يجد البعض منهم المال الكافي لاطعام عائلته في بعض الأحيان.

ومن اللافت للنظر عند حلول المساء في المدينة تجول الفقراء الذين يطوفون ويطرقون أبواب بيوت الميسورين من الأغنياء طلبا لوجبة المساء، وللتعريف بمعيشة الكويتيين قديما سوف أتطرق في هذا الموضوع عن عملهم ومأكلهم ومشربهم ومسكنهم وملبسهم لكي يعرف أبناء الجيل الحالي كيف كانت معيشتهم أجدادهم في الكويت قديما بشكل مبسط.

عملهم :

العمل قديما من مستلزمات الحياة الضرورية حيث يعمل الأبناء منذ الصغر أي قبل بلوغهم سن البلوغ لاعانة أهاليهم في معيشتهم الصعبة، ومن النادر ان تجد الأبناء بلا عمل سواء الغني منهم والفقير فالكل يعمل في سبيل كسب لقمة عيشة حيث يعمل أبناء الأغنياء مع أهاليهم في تجارتهم حتى يتم صقلهم منذ صغرهم لتحمل المسؤولية، أما العامة فيعملون في مهنة الغوص وصيد السمك ونقل المياه وقطع ونقل الحجارة وغيرها من المهن الشريفة التي تتطلب الصلابة والصبر حيث يعمل البعض منهم بيوميات زهيدة لا تكاد تكفي قوت يومه فلم يكن العمل يعيب الرجل قديما مادام المهنة شريفة.

مشربهم ومأكلهم :

المياه كانت شحيحة، في البداية كانت تجلب من الآبار الموجودة في المدينة ومع اتساع المدينة وزيادة عدد سكانها تم جلبها من الآبار المجاورة للمدينة ومن الآبار البعيدة عنها و مع الطلب المتزايد على المياه قام الكويتيون بجلب المياه من شط العرب لسد النقص، وكانت لديهم مياه تستخدم للشرب وأخرى للطبخ ومياه للاستخدام الحيواني والاستخدامات الأخرى حيث عانوا الكثير من شحها وعذوبتها فلم يعرفوا التبذير في هذه النعمة.

أما الأكل وعاداته فهي تختلف عما هي عليه في وقتنا الحالي فوجبتهم الرئيسية هي العشاء وتقدم إما قبل صلاة المغرب أو بعدها بقليل حيث يخلدون للنوم باكراً، أما وجبة الغداء فتقدم قبل صلاة الظهر أوبعدها بقليل، وفي الافطار يفطر العامة على التمر و«الغبيبة» بقية العشاء، أما الأغنياء فيفطرون على الخبز و«المفروك» و«البثيث» وفي الغداء يأكل العامة التمر و«المتوت» وهي «اسماك العمومي» الصغيرة المجففة أما الأغنياء يأكلون الخبز مع اللبن «المخيض» والتمر والارز وقليلاً ما يطبخ الأرز سواء مع الماش أو الربيان أو السمك المجفف ، فلا يقدم باللحم والسمك يوميا بل مرة أو مرتين في الأسبوع طبعا هذا بالنسبة للأغنياء فما بالك بالفقراء وهم عامة الكويتيين و في الشتاء يأكل الاغنياء «الماتوت والرغيد و العصيد» ولكن ليس بصفة مستمرة وقد يستغرب الكثير بقيامهم بمسح أيديهم بأرجلهم بعد أكل العصيد فلم يعرفوا الغسيل بالصابون بعد الاكل إلا في ما بعد.

مساكنهم :

كانت مساكنهم قديما متلاصقة والممرات ضيقة الغالبية والبيوت صغيرة، وعدد الغرف بها قليل ومساحات البعض منها لا يتعدى 200 متر مربع أو أقل وتفتقر لأبسط وسائل الراحة فلا يوجد بها صرف صحي لكنها كانت بنظرهم كبيرة، أما البيوت الكبيرة وعددها قليل فهي للأغنياء وبها بعض وسائل الراحة وليس كما يتصورها البعض فلا تكييف يقيهم من حرارة الصيف على عكس الوقت الحالي فبيوت الكويتيين الآن كبيرة تتوافر بها وسائل الراحة ومبنية على الطراز الحديث وبها الكثير من الغرف المجهزة بجميع وسائل الراحة.

قديما في الظهيرة يقيل الكويتيون بعد الغداء، ففي الصيف تراهم يهربون من بيوتهم و يذهبون للبحر لأخذ قسط من الراحة حيث يخلدون للنوم تحت ظل السفن الواقعة على السيف آملين بهبوب نسيم هواء يلطف عليهم لواهيب صيف الكويت الحار، حيث يقومون بتبليل «الوزار» بالماء وتغطيته أجسامهم به لكي يعطيهم برودة تنعشهم في أجواء الصيف الحارة، ورغم حرارة الجو كانوا يخلدون للنوم من شدة التعب والشقاء الذي هم فيه.

ملبسهم :

ملبسهم قديما بسيط وليس به تكاليف و تبذير واسراف والسبب كما ذكرت الحال اليسيرة لغالبيتهم، وكانوا ينتظرون الأعياد بفروغ الصبر لكي يرتدوا الملابس الجديدة ويرتدي الرجال قديما لباس الرأس الشائع للعامة وهو «الغترة» ثم عرفوا فيما بعد الشماغ حيث يلبسونه في الشتاء «العقال الطي» يلبسة كبار السن قديما ثم في ما بعد لبسوا «الشطفة»، والعامة منهم تلبس الدشداشة «الثوب» والأغنياء والشيوخ وكبار الشخصيات هم من يلبس الصديري والزبون والدقلة والبالطوا الذي ظهر لاحقا والأغنياء والشيوخ قديما كما يلبس الرجال قديما «عباءة قيلان» المصنوعة بالاحساء وفي ما بعد حل محلها البشت المتعدد الألوان أما السراويل الطويلة لا تلبس قديما الا في ما بعد وكانوا يلبسون «الوزا» بدلا منه و المتأنقون بالملبس قليلون في الكويت وهم البعض من الشيوخ وكبار الشخصيات.

أما لباس القدم كان الكويتيون قديما يمشون حفاة وكان البعض منهم يلبس الخف ويسمي «الزربول» الذي يصنع من الوبر ويعطي للخراز لوضع طبعة من الجلد من الخارج و قليل منهم من يلبس «النعال» وفي ما بعد تدرجوا بعدها الى لبس الأحذية بكافة انواعها.

أما لباس النساء فهو لباس محتشم فلا يظهر وجه المرأة وعند الخروج ترتدي العباءة و«البوشية» وغيرها من ملابس النساء فما النادر قديما خروج المرأة من البيت لا قبل الزواج ولا بعده الا نادرا وذلك لزيارة أهلها وأقاربها.

مشاري خالد العون
كلية الآداب – جامعة الكويت

من كتاب «صفحات من تاريخ الكويت»

رحلة الحياة

مجدي مكين
https://twitter.com/MagdiMakeen?s=08

والعمر تسرب كجدول المياه
وما نراه كبير اصبح الان لا نراه
وتساقطت اعمارنا كقطرات في فناء
قطرة في شباب وقطرة في الصباء
وباقي قطراتنا تحمله أظهر بانحناء
وربيع عمرنا قد جف وأتي وقت حصاده
فلا تدع غصنك ينحني وتقع كل ثماره
فالحاصد أتي بمنجليه ليضمك في زمامه
والمحراث ينتظرنا علي جانبي الطريق
فاني كنت بالأمي صغيرا اصبحت اليوم عتيق
واكتافي التي كانت تحمل اصبحت تحتاج لصديق
فلا تحزني يا ازهار عمرنا ان جفيت
وانسي ظمأ ايامك وتذكري متي ارتَويت
فان بستانك يستنشق رائحتك حتي انَ سقطتِ
وانهضي يان فسي لتعبري لشاطئ النجاء
ولا تنظري لقامتي وتحلي بالرجاء
فمازالت شراييني تسير فيها الدماء
وان عودي انحنى عودي له الدواء
فانك كنت له الرفيقة في الضراء والسراء
وتحلي بَالقوة ولا تكوني هزلاء
واكتسي بحريرك فانت الحسناء
ولا تحسبي عمرك بسنَينه وانت الزهراء
فان عرسك علي الأبواب وما أشهَاه.

عالم بريطاني يبحث في تطور فكرة الإنسان عنها عبر العصور

الطبيعة... من طفولة العقل البشري إلى «صدمة» العلم

يتناول هذا الكتاب واحدة من أهم القضايا التي تشغل العلماء والباحثين في فلسفة العلم اليوم، ويرصد محاولتهم الوصول إلى صياغة منطقية لقانون علمي يحكم العلاقة بين الإنسان والعالم، من خلال كشف حقائق الطبيعة السائدة في عصر ما.

الكتاب صدرت طبعة جديدة منه حديثاً عن «المركز القومي للترجمة في القاهرة»، بعنوان «فكرة الطبيعة»، من تأليف العالم البريطاني روبين كولنغوود، وترجمة أحمد حمدي محمود، ومراجعة أستاذ الفلسفة د. توفيق الطويل، وتقديم الأكاديمي د. بدوي عبد الفتاح.

ويقع الكتاب في 210 صفحات من القطع الكبير، ويطوف بنا في رحلة بانورامية شيقة، متتبعاً تصورات القدماء في هذا السياق، بداية من اليونانيين مروراً بعصر النهضة والتنوير وصولاً إلى العصر الحديث، مقدماً صياغة منطقية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، من خلال عقله وحواسه ومعتقداته، لافتاً إلى أن أهمية فكرة الإنسان عن الطبيعة تتغير من عصر لآخر، متأثرة بمنظومته المنطقية من المعتقدات والمفاهيم والمبادئ التي تشكل رؤيته الخاصة للطبيعة، وعلاقته بها، فالعالم بصفته إنساناً قبل كل شيء يتشرب روح عصره ويفكر بمنطقه. ويضرب المثال بـ«داروين»: «فلو تخيلنا أنه يعيش أيام اليونان، في القرن السادس قبل الميلاد، لما أمكنه أن يتوصل إلى نظريته عن التطور. والأمر نفسه بالنسبة لأينشتاين، فلو عاش في العصور الوسطى، لما سمع أحد عن نظرية النسبية».

عند اليونان

وفي محاولة لجذب القارئ لهذه السياحة العلمية، يقول المؤلف: «باختصار، قل لي ما فكرتك عن الطبيعة، أقل لك الشكل المنطقي للقانون العلمي الذي تؤمن به.

هل يتصور الناس الطبيعة بصفتها كياناً عضوياً حياً شأنها شأن الإنسان؟ هل يتصورونها عاقلة معقولة منظمة بذاتها لها غايتها التي تسعى إلى تحقيقها دون وصاية خارجية؟ حينئذ ستقتصر علاقة الإنسان بها على التأمل عله يكتشف شيئاً من قوانينها دون أن يشارك بشيء في بنائها». ويضيف: «كانت هذه هي فكرة البشر عن الطبيعة عند اليونان التي يمكن أن نسميها طفولة العقل البشري أو مفهوم الأحياء، فعندما رأى اليونانيون البذرة تسقط من فوق الشجرة على الأرض بفعل الرياح، ثم تسقى بماء المطر فتنمو وتتجدد الحياة دون تدخل بشري، قالوا إذن هي حية مستقلة، وكيف لا تكون حية وهي التي أنتجت الحياة؟».

ويوضح الكتاب أن هذا التصور يقدم لنا الطبيعة بصفتها ذات حياة، وأن لها القدرة على الحركة وتجديد نفسها بنفسها دون عون خارجي بحسب مبادئ معقولة كامنة فيها، وبالتالي فالطبيعة شأن الإنسان لها غايات تسعى إلى تحقيقها، وهذا يعني أننا أمام طبيعة منظمة تنتفي فيها المصادفة والعشوائية. وهذا التصور للطبيعة يعرف بالنزعة الإحيائية، أي النزعة لإحياء الأشياء الجامدة، وهو التصور الذي سيطر على العقلية اليونانية منذ «طاليس» الذي عُرف عن قوله إن الأشياء مليئة بالنفوس، وإن المغناطيس له نفس لأن فيه قوة جذب الحديد.

والنفس عند اليونان مرادفة للحياة، وبناء على هذا التصور، وبمقتضى هذا المنهج الذي شاع استخدامه بين الفلاسفة اليونان، تعد الطبيعة صورة مكبرة عن الإنسان، حيث إن لها نفساً كما أن للإنسان نفساً. وكما أن الإنسان لا يحتاج إلى قوة خارجية من أجل ممارسة حياته، فكذلك الطبيعة تتصف بأنها ذاتية الحركة. يقول أرسطو إن الطبيعة تتضمن في ذاتها مبدأ سكونها وحركتها، والحركة عند اليونان تعني الحياة.

وعلى ذلك، يؤكد المؤلف أن هذا التصور العضوي للطبيعة يحمل معنيين: الأول أنه لا يفيد التطور لأن صور الأشياء (أي قوانينها) ثابتة، فسنن الطبيعة تجري على هيئة دوائر مغلقة؛ والثاني (وهو الأهم) أنه يختلف عن التصور الآلي الذي ساد منذ أواخر عصر النهضة وبداية العصر الحديث، بدءاً من دافنشي ثم جاليليو، وبلغ ذروته عند نيوتن، فقد أصبحت الطبيعة تتصف بالقصور الذاتي؛ أي أنها عاجزة عن الفعل بذاتها، فهي عمياء لا تعرف مقاصدها، طبيعة غير منتظمة ولا معقولة ولا غاية لها، وبالتالي فهي في حاجة لمن يوجهها؛ أي بحاجة إلى قوة خارجية لتغيير حالتها.

في عصر النهضة

يوضح الكتاب أنه في القرن السادس عشر، اختلف الموقف، فقد أصبح الإنسان ينظر للطبيعة بصفتها «جامدة»، وأن ما نلاحظه فيها من نظام أو قانون ليس نابعاً منها، بل هو مفروض عليها من قوة خارجية عاقلة. وفي هذه الحالة، لن يكون القانون العلمي اكتشافاً لما هو كائن، بل إبداعاً من عقل الإنسان وخياله، والنموذج المطروح هنا هو قانون نيوتن في الجاذبية، وتلك هي فكرة الطبيعة الآلية التي سادت منذ عصر النهضة في القرن السادس عشر وما يليه معبرة عن العقل الواثق بنفسه. ويتابع: «تطور الأمر بعد ذلك لنجد الإنسان يتصور الطبيعة أعظم وأشد تعقيداً مما يمكن أن يستوعبه العقل البشري، طبيعة دائمة التطور، تتمثل حقيقتها في التغير والتبدل. وهذا يعني الاعتراف بشيئين: أولهما أن التطور والتحول هما جوهر الطبيعة، وليس الثبات، وأن ما يوجد بها من كائنات ليست نماذج ثابتة متكررة تحمل الصورة نفسها، بل توجد وتتطور وتختفي، وهي الفكرة التي انبثقت عن نظرية (داروين) و(لامارك) في التطور، وبلغت ذروتها عند (برجسون) حين حلت فكرة التقدم محل فكرة الدورات المغلقة. الشيء الثاني يتمثل في النتائج الثورية التي أسفرت عنها الفيزياء المعاصرة في نظريتي (ميكانيكا الكم) و(النسبية)، حيث أدت إلى انقلاب في فكرة الطبيعة الآلية، فقد اختفت فكرة الحقيقة الثابتة، وحلت محلها فكرة التغير والصيرورة. وهنا، لم تعد حقيقة الطبيعة تتمثل في التغير الذي لا بد أن يفضي إلى الثبات، بل التغير ذاته إلى ما لا نهاية».

ثورة شاملة

ويخلص المؤلف إلى أن الفكر الأوروبي الحديث كان على موعد مع عصر جديد يمثل ثورة شاملة جرفت في طريقها كل المفاهيم والمبادئ التي بنى عليها التصور اليوناني برؤيته الساذجة للطبيعة. والمحور الأساسي الذي ترتكز عليه هذه الثورة هو إعادة الإنسان بعقله وضميره إلى مركز الصدارة في الكون. ومهدت لذلك حركة الكشوف الجغرافية، واكتشاف حضارات لا تقل تقدماً عن الحضارة الأوروبية، حيث ظهرت الحاجة الماسة للمخترعات الجديدة التي تستفيد من قوى الطبيعة في تسخيرها لتيسير حياة الإنسان ورفاهيته، أو كما يقول «بيكون»: «العلم قوة». ويذكر الكتاب أن ذلك العصر كان يموج بفيض من الأفكار التجريبية، سياسية واجتماعية وعقائدية، التي تحرص في مجموعها على رفض الأفكار الجاهزة التي تُفرض على العقل، واتجه الإنسان بقوة إيمانه بذاته وثقته بقدراته لإعادة صياغة المعادلة الكونية، بحيث يحتل مركز الصدارة، ويكون عقله هو المبدع لقوانين الوجود، فالعقل يجب أن يكون سيداً للطبيعة، ومبادئه أوامر يجب أن ترضخ لها. ويستشهد المؤلف بكانط، مشيراً إلى أنه يلخص العلاقة بين العقل والطبيعة في رؤية قوية موحية، يقول فيها: «عندما ترك جاليليو كرات ذات أوزان معينة حددها بنفسه تنزلق فوق سطح مائل (وهي تجربة جاليليو لقانونه عن القصور الذاتي) شع ضوء مبهر أمام كل الباحثين في الطبيعة، فقد أدركوا أن العقل قادر على اختراق حجب الطبيعة، وأن عليها أن تتحرك وفقاً لمبادئه وأحكامه، وأن تجيب عن أسئلته، فالعقل قابض بيد على مبادئه، وباليد الأخرى على التجربة الخاضعة لهذه المبادئ، بحيث يجب أن تقترب من الطبيعة ليتعلم منها، ولكن ليس بصفته تلميذاً يوافق معلمه على كل شيء، بل بصفته قاضياً يجبر الشهود على الاعتراف».

ويخلص المؤلف إلى أنه بهذا المعنى، تغيرت فكرة الإنسان عن الطبيعة وعلاقته بها، فحلت فكرة «الآلية» محل الطبيعة العضوية؛ بمعنى أن الطبيعة ليست منظمة بذاتها، وليست قادرة على تدبير أمورها بقوانينها، وأنها موجهة داخلياً لغايات هي التي حددتها لنفسها، وهي أشبه بآلة كبيرة تروسها هي الظواهر، كما أن كل ظاهرة في الطبيعة هي سبب في حدوث ظاهرة لاحقة ومسببة لظاهرة سابقة. وهذا ما نراه في قانون الفعل ورد الفعل.

من هنا، نفهم لماذا آمن كثير من علماء وفلاسفة ذلك العصر بالسببية الضرورية، أو ما يعرف بـ«الحتمية الآلية»، ونستطيع أن نلتمس عناصر فكرة الآلية قبل ذلك عند دافنشي مؤسس علم الميكانيكا الحديث.

يبقى أن نقول إنه على الرغم من الطباعة الجيدة للكتاب، فإنه خلا من أي تعريف بالمؤلف روبين كولينغودد، وهو فيلسوف مؤرخ عالم آثار بريطاني (1943–1889)، له عدد من المؤلفات المهمة الأخرى، مثل: «فكرة التاريخ» و«مقال في المنهج الفلسفي».

عن «الشرق الأوسط» اللندنية